ISSN: 2706-6495

حوار نوح وإبراهيم عليهما السلام مع قومهما في القرآن الكريم

(دراسة تحليلية)

The Dialogue of Noah and Ibrahim, peace be upon them, with their Peoples in the Holy Qur'an (an Analytical Study)

د. أيمن البيلي محمد

دكتوراه البلاغة والنقد الأدبي، أستاذ مساعد، معهد الإدارة العامة، الرياض، المملكة العربية السعودية

Email: noor76198676@yahoo.com

ملخص البحث:

تهتم الدراسة بالوقوف على الأساليب الحوارية بين نوح وإبراهيم عليهما السلام وقومهما، وإظهار أهم ما تتسم به هذه الأساليب بلاغياً، والمعاني التي تفيض بها، وبيان الفروق بين أساليب الأنبياء من جهة وبين أساليب خصومهم من جهة أخرى، ومحاولة استدعاء عقل القارئ للوقوف موقف الحَكَم والوسيط المفكر بين الأنبياء وخصومهم، والعودة به إلى أصول الحوار الإيجابي، وكيفية الرد المنطقي على الخصم، دون الهروب أو التفلت من الحقيقة إلى الكذب والخداع والتهديد، كما حاولت الدراسة الوقوف على بعض الألفاظ والعبارات المستخدمة من أطراف الحوار، للتمييز بين العقول المتحاورة من خلالها، وكيف يمكن أن يكون موقف كل منهما عند المواجهة الحقيقية، أو التعرض لقضايا مشابهة، ليتأكد لنا صدق هؤلاء الأنبياء الدعاة الذين لم يضنوا على البشرية بإعمال العقل وتنشيط الذهن ومراجعة منطق الفطرة السليمة، ليرسموا لنا طريقاً طويلاً يسلكه العاقلون المتيقظون دون أن يُستخف بفكرهم أو يُستهان بقضيتهم.

الكلمات المفتاحية: الحوار، الجدال، نوح، إبراهيم، العقل.

ISSN: 2706-6495

The Dialogue of Noah and Ibrahim, peace be upon them, with their Peoples in the Holy Qur'an (an Analytical Study)

Abstract

The present study aimed at examining the rhetorical methods Noah and Ibrahim, peace be upon them, used to communicate their peoples, showing the most important discursive features that boost the meaning overflows. In doing so, it clarifies the differences between the two prophets' methods and their opponents' methods. The study also exposes the original and correct thought that helps the reader respond logically and objectively to the opponent's doubts in such a way that creates a reader's critical mind to think and contemplate on the prophets' positions and their opponents', without removing facts or escaping from truth using lies, deceits, or violations.

The study identified some of the terms and phrases, which were used by the parties in dialogues that refer to the speakers' ideology, which can be distinguished depending on what they are uttering and wording. The analysis also showed that the usage of these terms and phrases can confirm to us the sincerity of the prophets that did not let any efforts in preaching mankind to think thoughtfully and practically, as well as to enable the faculty of mind and pure intuition in drawing a way for wise people to take and follow to express their ideas without underestimating their cause.

Keywords: dialogue, argument, Noah, Ibrahim, ideology.

ISSN: 2706-6495

مقدمة البحث:

إن الاهتمام بلغة القرآن الكريم يعد شرفاً لكل باحث يريد الغوص في تلك الكنوز القرآنية واستنباط ما يستطيع من دلالات ومعانٍ، ولا يقتصر هذا الأمر على مجمل ما يمكن أن يتعرض له الباحث من تحليل التراكيب والعبارات، بل يتعداه إلى ما يفيد المجتمع في واقع حياتهم، إن استطاع هذا الباحث أن يوظف تلك الاستنتاجات فيما يفيد واقعه. لذا؛ جاء حوار الأنبياء في القرآن الكريم كدليل على ما يمكن أن نسميه باستدعاء العقول من واقع قديم إلى واقع حديث، فواقع الأنبياء في دعوتهم لا يمكن أن يشوبه تغيير عبر الأزمان في مخاطبة العقل البشري، حيث إن الإنكار لوجود إله واحد ملك لهذا الكون لا زال قائماً في بقاع كثيرة من عالمنا، فضلاً عن استفادة المؤمنين من الطريقة التي سار بها الأنبياء في دعوتهم في التركيز على مخاطبة العقل البشري، وعدم الالتفات إلى نواح جانبية تخل بهذه الدعوة الجليلة.

كما إن اختيار البحث لدعوتين من أقدم الدعوات المقدسة عند البشر وهما دعوتا إبراهيم ونوح عليهما السلام، جاء في إطار التعاقب الزمني بين النبيين الكريمين من جانب، وكذلك التشابه الكبير بين الدعوتين في أقوام سخروا حياتهم لحجارة لا تضر ولا تنفع، فضلاً عن التشابه في تهديد المعاندين من الفريقين بالرجم لكلا النبيين الكريمين، فقالوا لنوح عليه السلام (لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين)، وقالوا ممثلين في أبي الخليل عليه السلام (لئن لم تنه لأرجمنك واهجرني ملياً).

وتسليط الضوء على أساليب الحوار عند النبيين الكريمين لم يأت فقط لمجرد التحليل البلاغي، وإنما ركز في أكثر المواطن على التفاصيل الحوارية من خلال الألفاظ والعبارات المستعملة، كالكشف عن نوايا كلا الطرفين أثناء الحوار، والمقاصد العقلية والأهداف والغايات لدى كل فريق ، والأسباب التي دفعت كل فريق لإيثار أسلوب حواري على آخر، ويتضح كل ذلك من خلال المنهج التحليلي الذي اعتمدناه في هذه الدراسة.

الحوار عند أهل اللغة وأثره التربوي:

أ- الحوار عند أهل اللغة:

جاء في لسان العرب "الحور: الرجوع عن الشيء وإلى الشيء، حار إلى الشيء وعنه حوراً ومحارا ومحارة وحؤوراً: رجع عنه وإليه؛ وفي الحديث: من دعا رجلاً بالكفر وليس كذلك حار عليه؛ أي رجع إليه ما نسب إليه، وحارت الغصة تحور: انحدرت كأنها رجعت من موضعها، وأحارها صاحبها؛ والحور: النقصان بعد الزيادة لأنه رجوع من حال إلى حال.

وفي الحديث: نعوذ بالله من الحور بعد الكور؛ معناه من النقصان بعد الزيادة، وقيل: معناه من فساد أمورنا بعد صلاحها، وأصله من نقض العمامة بعد لفها، مأخوذ من كور العمامة إذا انتقض ليها وبعضه يقرب من بعض، والمحاورة: المجاوبة. والتحاور: التجاوب؛ يقال: كلمته فما رد إلي حوراً أي جواباً؛ وقيل: أراد به الخيبةَ والإخفاقَ. وأصل الحور: الرجوع إلى النقص؛ وقال الزجاج: الحواريون خلصان الأنبياء، عليهم السلام، وصفوتهم. قال: والدليل على ذلك قول النبي، صلى الله عليه وسلم: الزبير ابن عمتي وحواري من أمتي؛ أي خاصتي من أصحابي وناصري. قال: وأصحاب النبي، صلى الله عليه وسلم، حواريون، وتأويل الحواريين في اللغة الذين أخلصوا ونقوا من كل عيب؛ وكذلك الحوارى من الدقيق سمي به لأنه ينقى من لباب البر؛ قال: وتأويله في الناس الذي قد روجع في اختياره مرة بعد مرة فوجد نقيا من العيوب" (ابن منظور، ١٤٤هـ، ص٢١٧).

ISSN: 2706-6495

وجاء في القاموس المحيط "حُرْتُ الثوبَ: غَسلتهُ وبَيّضتهُ، وتَحيرَ واسْتَحارَ: نَظَرَ إلى الشيءِ، فَغُشِيَ عليه، ولم يَهْتَدِ لسبِيلِهِ، فهو حَيْرانُ وحائِرٌ، وهي حَيْراءُ، وهم حَيارَى، والحائِرُ: مجتمعُ الماءِ، وحَوْضٌ يُسَيَّبُ إليه مسِيل ماء الأمطارِ، والمَكانُ المُطمئِنُّ، والبستان، وتحير الماءُ: دار واجتمعَ، وأصبحَتِ الأرض حيْرَةً، أي: مُخضرَّةً مُبْقِلَةً" (الفيروزبادي، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، ص ٣٨١، ٣٨٢).

مما سبق يتضح أن الحوار عند أهل اللغة يدور في فلك البحث عن الحقيقة والرجوع إليها ، ولعلنا نصيب إن قلنا أن أهم تلك المعاني التي تمثل هذا المعنى هو مجتمع الماء، واخضرار الأرض، وكل معنى آخر نابع من الجذر اللغوي للحوار يدور في فلك هذين المعنيين، فهو الرجوع عن الشيء وإلى الشيء، والمتحاور إذا رجع عن رأيه أو إلى رأيه فإنما يكون بعد تفكر وتأمل وتحاور وتجاوب فيعود إلى موطن الحقيقة، وكذلك معنى النقصان بعد الزيادة لأنه رجوع من حال إلى حال؛ حالٍ ظن فيه المتحاور أن الحقيقة تتمثل في رايه فحسب، فإذا به يرجع عن هذا الظن أثناء الحوار، لأنه يجد طرفا يزيد عليه فينقص بعد زيادة ويستوقف مع نفسه.

كما أن التجاوب يعد من معني الحوار، فلا حوار إلا بطرفين يتجاوبان ويتبادلان فكرهما حول قضية خلافية. بالإضافة إلى تلك المعاني، فإن معاني الإخلاص والنقاء، وعدم الاهتداء للسبيل لا تبتعد عن فلك البحث عن الحقيقة، مما يباعد بين حقيقة الحوار وبين الجدل، والذي يفضي بالشخص إلى عجب في نفسه يستدرجه حتماً إلى طريق آخر غير الذي يرتجيه المتحاور.

ب - الأثر التربوي للحوار:

للحوار المثمر آثار لا تحصى ولا تعد في بناء العقل البشري وتنمية فكره وزيادة ثقافته، وقد بين الله تعالى الحوار هو أهم وسيلة للتقارب بين البشرية، فقال تعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) [الحجرات، ١٣]. فامتزاج الأفكار وعرضها ومناقشتها يثري ويملأ المساحة الفكرية لدى كل الأطراف المتحاورة، ويجنب المجتمعات في كثير من الأحيان ويلات الرأي الواحد والفكر الأوحد، خاصة في ظل ما يشهده العالم من تطورات يصاحبها تمازج الأفكار وتنقل المعلومات والمعارف، وتحول العالم إلى قرية صغيرة. وقد بين القرآن الكريم أن الخسران والسقوط في الغواية هو المآل الطبيعي والعاقبة المحتومة للذين يتغاضون عن الحوار، ويصمون آذانهم عنه، حين استعرض أقدم حوار على ظهر البسيطة، واضعاً قاعدة من قواعد الإبقاء على الحياة والتعمير في الأرض، فقال تعالى (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ، لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ، فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ) [المائدة،٢٧- ٣٠]. فعدم الإنصات للناصح والاستهانة بالحوار معه والاستخفاف برأيه، جلب المصائب لمجتمع كامل، بل وأغوى النفس للانجراف وراء ارتكاب أول جريمة قتل عرفتها البشرية.

ج - الفرق بين الجدال والحوار:

جاء في لسان العرب "الجَدْل: شِدة الفَتْل. وجَدَلْتُ الحَبْلَ أَجْدِلُه جَدْلاً إذا شَدَدْتَ فَتْلَه وفَتَلْتَه فَتْلاً مُحكماً؛ ومنهُ قِيل لِزِمَامِ الناقَةِ الجَدِيل، والجَدَل: اللَّدَدُ فِي الخُصومة والقدرةُ عليها، وقد جَادَلَهُ مُجادلةً وجِدالاً. وَرَجلٌ جَدِل ومِجْدَل ومِجْدال: شَدِيدُ الجَدَل. ويقال: جادلتُ الرجلَ فجَدَلْتُهُ جَدْلاً أَي غلبتهُ. ورجُلٌ جَدِلٌ إذا كَانَ أَقوى فِي الخِصام. وجَادَلَهُ أَي خَاصَمَهُ مُجَادَلَةً وجِدالاً، وَالِاسمُ الجَدَل، وهو شدَّة الخصومة.

ISSN: 2706-6495

وفي الحدِيث: ما أوتي الجدلَ قومٌ إلا ضلوا؛ الجَدَل: مُقابلةُ الْحُجَّةِ بِالْحُجَّةِ؛ وَالْمُجَادَلَةُ: الْمُناظَرةُ وَالْمُخاصَمةُ، وَالْمرادُ به في الحدِيث الجَدَلُ عَلَى الباطلِ وطلبُ الْمُغالَبةِ به لا إظهار الحقِّ فإن ذَلِكَ محمودٌ لقوله عز وجل: وجادِلهم بِالتِي هي أَحسن" (ابن منظور، ص ١٠٥).

وقال الراغب الأصفهاني "الجدال المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة، وأصله من جدلت الحبل، أي: أحكمت فتله ومنه: الجدال، فكأن المُتَجَادِلَين يفتل كل واحد الآخر عن رأيه. وقيل: الأصل في الجدال: الصراع وإسقاط الإنسان صاحبه على الجدالة، وهي الأرض الصلبة. قال الله تعالى: (وجادلهم بالتي هي أحسن) [النحل/ ١٢٥]، (الذين يجادلون في آيات الله) [غافر/ ٣٥]، (وإن جادلوك فقل الله أعلم) [الحج/ ٦٨]، (قد جادلتنا فأكثرت جدالنا) [هود/ ٣٢]، (ما ضربوه لك إلا جدلا) [الزخرف/ ٥٨]، (وكان الإنسان أكثر شيء جدلا) [الكهف/ ٥٤]، وقال تعالى: (وهم يجادلون في الله) [الرعد/ ١٣]، (يجادلنا في قوم لوط) [هود/ ٧٤]، (وجادلوا بالباطل) [غافر/ ٥] ، (ومن الناس من يجادل في الله) [الحج/ ٣]، (ولا جدال في الحج) [البقرة/ ١٩٧] ، (يا نوح قد جادلتنا) [هود/ ٣٢] (الأصفهاني، ١٤١٢هـ، ص ١٩٠).

ويبدو من تعريفات الجدال اختلاف معناه كلياً عن الحوار "فمنه مكروه، ومنه حسن، فما كان منه تثبيتًا للحقائق وتثبيتًا للسنن والفرائض، فهو الحسن وما كان منه على معنى الاعتذار والمدافعات للحقائق فهو المذموم" (ابن بطال، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، ص ٣٧٧).

فهناك فرقان لا بد من التعريج عليهما في الفرق بين الجدال والحوار. الأول، هو ما يخص الجدوى والثمرة المرجوة من لغة "قال وقالوا" وهي اللغة الحوارية المعروفة، وهي محمودة في عمومها إذا كانت جملة الحوار منصبة بين الأطراف المتحاورة على القضية الرئيسة، دون التطرق إلى مسائل أخرى تُخرج أصل الحوار عن إطاره المطلوب، بخلاف الجدال الذي يمكن أن يُخرج صاحبه من جادة الصواب إلى طريق الهلاك دون أن يتلمس الحقيقة التي يبحث عنها، وهو ما سيتضح من خلال الحوار الصادر من نوح وإبراهيم عليهما السلام، في مقابل حوار خصومهم الذين حولوه إلى لدد في الخصومة وجدالٍ مذموم أفضى بهم إلى التهديد الصريح لأنبيائهم. وأما الفرق الثاني، وهو ما يهمنا هنا في دعوة الأنبياء، فهو ترتيب كلٍ من الحوار والجدال في دعوة الأنبياء للمعاندين والطغاة، ولماذا كان الجدال فيه نوع من الضغط النفسي على كلا الطرفين، لأن فيه إلحاح أشد على الخصم، وجهد عقلي وتركيز منطقي من صاحبه أكثر من الحوار، لنجد أن الحوار هو المنطلق الأول المطلوب لعلاج قضية الشرك ودعوة هؤلاء إلى التوحيد في بداية الدعوة، ثم يأتي بعد ذلك دور الجدال المحمود في مواجهة تعنت هؤلاء وإصرارهم على الشرك ليقضي على طموحاتهم الخبيثة في القضاء على الدعوة، ومن ثم محاولة إلحاق الهزيمة بهم بلسان الحكمة ومنطق الغلبة للعقل، وإن شئنا يمكن أن نقول: إن الحوار يأتي أولاً للتمهيد ببيان طبيعة الدعوة الجديدة ومحاولة إزاحة الغشاوة والستار عن عيون المعاندين، يتبعه الجدال المحمود ثانياً، حتى لا يكون للخصم المعاند حجة عند استحقاقه للعذاب، وهو ما يتضح من كلام قوم نوح (يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا)، أي إنه قد حاورهم بالتدريج أولاً ينتظر جواباً منهم، فلما هربوا من القضية الرئيسة أكثر عليهم في الدعوة وألح عليها بشدة في أكثر من موقف، ويتضح أيضاً في قوله تعالى لرسوله الكريم (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، وجادلهم بالتي هي أحسن) [النحل،١٢٥]. فالبداية هي الحوار والمتمثل في الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، يلي هذا الحوار الدعوي الجدال بما هو أحسن، أي إن هناك ما هو أسوأ، حتى لا يتخلى الداعي عن دعوته مهما قوبل في البداية من مواجهة شديدة.

ISSN: 2706-6495

الأسلوب الحواري لنوح عليه السلام مع المعاندين من قومه:

لا شك أن لغة القرآن حيرت العلماء قديماً وحديثاً، ذلك أن المتحدث تعالى شأنه هو خالقهم وسيدهم، ولم يكن جلت عظمته ليخاطب عباده بمنهج بشري، بل خاطبهم بمنهج فوقي من جنس لغتهم، ليكون الإعجاز بعينه، والحوار في القرآن منهج قرآني مستقل، له دلالاته وأغراضه وأدواته، ومن عظيم تجليات هذه اللغة الفوقية عند استقراء مواطن الحوار بها أنها لم تكن على نمط واحد أو إطار منفرد يمكن القياس عليه، ولا تهدف جميعاً إلى الإقناع الذي يمثل الهدف الرئيس لأي حوار بشري، لتخرج إلينا هذه اللغة الجليلة مكتسية حلة العظمة والإعجاز، ترفع الحجاب عما وراءها من أسرار دلالية ومعان بلاغية، ولا نكاد نقف على تركيب منها إلا وتستوقفنا مفاهيم جديدة تدور في فلك كنا نبحث عنه أو نسترشد به.

فقد اتضح من خلال استقراء مواطن الحوار في القرآن الكريم، أن لكل موطن حواري لغة خاصة وذلك بحسب طرفي الحوار، ونحن سنركز هنا على حوار أولي العزم من الرسل لأنه يشكل أسوباً رئيساً من أساليب الدعوة إلى الله، ولأن حواراتهم في كتاب الله أكثر من غيرهم من أنبيائه جل شانه.

ونبدأ هنا بحوار نوح عليه السلام والذي طالت دعوته بين قومه لألف سنة إلا خمسين عاماً، فدعوته أطول عمراً بين الأنبياء جميعاً، حتى إن قومه قد سأموا دعوته فقال تعالى (قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا) [هود،٣٢]. وقد تعددت مواضع الحوار بين نوح وقومه في القرآن، فجاء في سورة الأعراف قوله تعالى (لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ، قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ، قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ، أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ، فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ) [الأعراف، ٥٩- ٦٤]. ويلاحظ في الآيات أسلوب الاستعطاف المسبب من طرف نوح عليه السلام؛ فلا يدعوهم لشيء إلا بإظهار حبه لهم ومودته نحوهم مع بيان السبب، فنداؤه إياهم بقوله "يا قوم" فيه بيان منزلته فيهم وأنه فرد من أفرادهم يرجو الخير لقومه كما يرجوه كل فرد منهم، وقوله (اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) بيان لضلال هؤلاء بتوجههم لغيره بالعبودية، وفي هذا النداء تتجلى معاني الرحمة والشفقة من الأنبياء على أقوامهم، وأرد نوح عليه السلام من سرد الحقيقة الثابتة (مالكم من إله غيره) بعد جملة الأمر (اعبدوا الله) أن يطغى الأثر النفسي عند هؤلاء على أعرافهم الشركية، هذا الأثر المتمثل في الحصن المتين والمآب الحقيقي الذي تمثله عبادة الله وعدم وجود غيره للدفاع عنهم أو اللجوء إليه، فجملة (مالكم من إله غيره) فيها ما يهز النفس ويستوقفها عند الحديث عن الملجأ والملاذ، ثم يظهر هذا النبي الكريم مدى هذه الشفقة حين يبررها بقوله (إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم)، وتلاحم جملة النداء مع هذه الجملة الخبرية المؤكدة بإن فيه من الدلالات الكثير، أهمها استمالة الأسماع بعد النداء بخبر لا يحتمل الشك. كما أن ذكر العذاب والتذكير بيوم القيامة بعد الأمر بعبادة الله تنشيط لعقل هؤلاء والتوجه للعبادة لمن يملك هذا اليوم وما في من عذاب ونعيم.

والعجيب أن المنطق الذي بدأ نوح عليه السلام خطابه مع قومه، والذي أوجزه في آية واحدة، قوبل بالجحود البالغ والإنكار الشديد من قومه، بل واتهموه بضلال طريقه بقولهم (إنا لنراك في ضلال مبين)، والمنطق هنا يستدعي منهم الإسراع في السؤال عن ماهية الخالق الذي وجههم نوح إليه، والاستفسار عن حقيقة هذا اليوم العظيم، وكيف يكون العذاب، فيكون النقاش ثرياً والحوار هادفاً، وهكذا تكون حجج المعاندين على الدوام هي انعدام الحجج ومنطقهم لا منطق، فهل من العقل أن يُتهم الهداة المهديون بأنهم ضالون غاوون؟! والأعجب أن مدعي هذا الافتراء هم أهل الضلال ومؤسسو الغواية في الأرض.

ISSN: 2706-6495

وقد جاء رد نوح عليه السلام لاتهامهم بالرحمة ذاتها استرقاقاً لقلوبهم القاسية فقال (يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين، أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون)، فكيف يكون في ضلالة وهو رسول مرسل من ربه؟! وتكرار النداء في قوله (يا قوم) دليل على مدى صبر نوح عليهم، وأنه ما زال يؤمِّل فيهم إيمانا وتوحيداً، وقد لوحظ عدم اكتراثه عليه السلام بالدفاع عن نفسه، حيث نفى الضلال عنه وانتقل سريعاً إلى دعوته (إني رسول من رب العالمين)، لأن الانشغال بالهدف هو الذي يصحح المفاهيم، أما الانشغال عنه فطريق محفوف بالأباطيل مملوء بالفخاخ، والأنبياء عليهم السلام أرادوا تربيتنا على التعلق بالحق لا التعلق بالذات، ونوح عليه السلام جل اهتمامه هو الدعوة (أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم وأعلم من الله مالا تعلمون)، واستعمال المضارع (أبلغكم) إشارة إلى عدم يأس نوح عليه السلام حاضراً ومستقبلاً، وأن الأمر يستدعي صبراً وهمةً متلازمين. وانتقال النبي الكريم إلى عقل هؤلاء وما يدور به في قوله (أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون) يدل على علمه عليه السلام ودرايته بأسلوب الحوار المتبع في مثل موقفه، وهو قراءة ما يدور في ذهن الخصم أو المتحاور، فهم يتساءلون: أيعقل أن ينزل خبر السماء على بشر مثلنا؟ وهو تساؤل طرحته لنفسها جميع العقول الجاحدة الضالة، حكى عنه سبحانه بقوله جل شأنه (أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ) [يونس، ٢]، فأدرك ذلك نوح عليه السلام، وإخباره لقومه كان للتعجب من موقفهم، وهو تعجب برره عليه السلام بالمنطق والفطرة السليمة، وهو أنه جاء لنصحهم حتى يتقوا ويدخلوا في رحمة الله، والعقل يقول لو أن هذه الدعوة تتوجه إلى الشر والغواية لكان اتهامهم له وإنكارهم لدعوته منطقياً، فالإجماع على حقيقة الخير والشر يتفق فيه الصالح والفاسد والمؤمن والكافر، لكنه الخضوع للهوى واستكبار النفس، قال سبحانه (فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ) [الأنعام، ٣٣]، لذا كان عاقبة المكذبين من قوم نوح هو هلاكهم وإغراقهم جميعاً (فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ)[الأعراف، ٦٤]، قال الطبري "فكذب نوحاً قومُه إذ أخبرهم أنه لله رسول إليهم، يأمرهم بخلع الأنداد، والإقرار بوحدانية الله، والعمل بطاعته، وخالفوا أمر ربهم، ولجوا في طغيانهم يعمهون، فأنجاه الله في الفلك والذين معه من المؤمنين به" (الطبري، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، ص ٥٠٢).

وشبيه بهذا الحوار ما جاء في سورة الشعراء في قوله تعالى (كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ، إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ، إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ، وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ، قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ، قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ، إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ، وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ، إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ، قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ) [الشعراء، ١٠٥- ١١٦]. وقد ظهر جلياً في هذه الآيات التهديد لنوح عليه السلام بالرجم، وهو ما لم تصرح به الآيات في سورة الأعراف، وحوار نوح لم يختلف رحمة وإشفاقاً على قومه في الموضعين، بل أظهر قومه العجز والتقهقر أما حوار العقل والتفكر، فانصرفوا من نقاش الحقيقة إلى التهديد الصريح بالرجم، والملفت هنا أن الآيات التي جاء بها التهديد صرحت بأخوة نوح بين قومه قبل الشروع في تفاصيل الحوار (كذبت قوم نوح المرسلين، إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون)، وفي ذلك إشارة إلى أن المهدَّد بالرجم ليس غريباً أو بعيداً عن هؤلاء بل هو فرد منهم وابن من أبنائهم يعرفونه جيداً ولا يشكون في رجاحة عقله، وهو ما يظهر أن الكفر الصريح عند هؤلاء قد أعمى أبصارهم وعقولهم.

ISSN: 2706-6495

كما تكرر هذا الحوار في سورة هود أيضاً في قوله تعالى (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ، فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ، قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ، وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ، وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ، وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ، قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ، قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ، وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) [هود، ٢٥- ٣٤]، والذي يعتقد بأن هناك تكراراً في الآيات فهو واهم "فالقرآن لا يكرر المعاني الفرعية، وإنما يكرر الحقيقة أو ما يسمى في الأدب الفكرة الكلية أو الموضوع، وعندئذٍ فإن المحاورات التي يكررها القرآن هي ذات الحقيقة الكلية الهامة كالمحاورات في العقيدة، فإن العقيدة أساس الدين كله، وكل ما في الدين جملة أو تفصيلاً إنما يرتبط بالعقيدة، إما مباشرة وإما بصورة غير مباشرة" (حفني، ١٩٩٥م، ص٧٥).

وبالرغم من أن الأسلوب الحواري هنا أكثر تفصيلاً مما كان في سورتَي الأعراف والشعراء، إلا أن مزيداً من التأمل يكشف لنا مدى الاهتمام القرآني بالإيجاز هناك مع التفصيل هنا. فقصة نوح مع قومه في السورتين تتبعها مباشرةً قصة هود مع قومه عاد، وبالتعبير القرآني ذاته، فمثلاً في سورة الأعراف (وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ)[الأعراف،٦٥]، وفي سورة هود (وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ))[هود،٥٠]، وبالنظر إلى قصص الأنبياء المتتابعة في السورتين يتبين لنا أن المقام في سورة هود يتطلب التفصيل والتوضيح، ولعل بداية السورة تؤيد السبب في ذلك، حيث يقول الله تعالى (الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ، أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ) [هود، ١- ٢]، فكأن إجمال الآيات ثم تفصيلها تمهيداً أسلوبياً لما سيتم به التعامل داخل السورة، وجملة (ألا تعبدوا إلا الله) عنوان عريض لدعوة الأنبياء والذين ستتحدث عنهم السورة تفصيلياً مع قومهم. أما بداية الأعراف فإنها خلاف ذلك حيث يوضح الله لنبيه صلى الله عليه وسلم أن هذا الكتاب شارح لصدره ومنذر لقومه وذكرى للمؤمنين، فاقتضى المقام التعريج على الأنبياء المذكورين عليهم السلام مع قومهم دون تفصيل، قال تعالى (المص، كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ، اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ) [الأعراف، ١- ٣].

وقد اتبع نوح عليه السلام في تلك الآيات الأسلوب الحواري نفسه، وذلك باستمالة قلوب هؤلاء المعاندين بأسلوب التوكيد مع الزمن الحاضر بقوله (إني أخاف عليكم عذاب يومٍ أليم)، فإظهار الرحمة والشفقة بالمتحاور يستميل قلبه وسمعه، وهنا يتكرر المشهد نفسه والجواب بعينه من قبل هؤلاء المعاندين، وكأننا لا زلنا مع سورة الأعراف، غير أن المشهد هنا هو مشهد الإفصاح التفصيلي وإزالة الأقنعة، حيث اتهم هؤلاء نوحاً عليه السلام في الأعراف بأنه في ضلال مبين (قال الملأ من قومه إنا لنراك في ضلال مبين)، لكنهم هنا بدأوا في إلقاء التهم متتابعة (فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك إلا بشراً مثلنا وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين)، وتكرار أسلوب النفي في ردهم (ما نراك إلا بشراً مثلنا - وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي - وما نرى لكم علينا من فضل) يضعف حجتهم، لأنهم ظنوا أن النفي المتتابع يوقع نوح عليه السلام في مأزق الرد،

ISSN: 2706-6495

وقد انكشف أمرهم وفاضت سرائرهم بما يريدون ستره خلف هذه المنفيات بقولهم (بل نظنكم كاذبين)، لأن الإضراب يكون عن ضد أو ما شابه كأن يقولوا: أنت يا نوح ومن معك لستم صادقين بل كاذبين، لكنهم جاءوا بالإضراب عن تهم أخرى ليفتضح أمرهم، وكأن تأجيل افترائهم الرئيس وإغلاق التهم به لن يكشف أمرهم، فضلاً عن هروبهم من نقاش القضية ذاتها التي عرضها عليهم نوح (ألا تعبدوا إلا الله).

ونوح عليه السلام صاحب قضية يزود عنها بالعقل والأسلوب، وقد أخضع جوابه على هؤلاء لهذين العنصرين، فلم يستخدم أسلوباً مهاجماً كما فعلوا، وإنما بدأ بتفنيد حججهم واحدة تلو الأخرى، والأروع هنا بدأ هذا التفنيد بأسلوب استفهامي غاية في الدقة موقفاً وحدثاً، فموقف هؤلاء هو موقف المدعي كذبا وبهتاناً، والحدث هو قضية الوحدانية التي تحتاج إلى استجماع جميع القوى النفسية والعقلية والأسلوبية، فلجأ إلى إشراكهم في القضية وهم في الأصل يرفضونها، وهو أسلوب حواري خاص يعد منهجاً في ذاته، فيقول نوح عليه السلام (أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون)، والأعجب من هذا أن نوحاً عليه السلام يستعرض القضية الرئيسة بأسلوب المتواضع الذي يبحث عن طريق الخير مع مخالفيه (أرأيتم إن كنت على بينة من ربي)، فلم يقل (إني على بينة من ربي) بل استعمل أسلوب الشرط مع مراعاة التمكن مما بين يديه من البينات (على بينة) حتى يلتفت هؤلاء إلى حقيقة فكرهم وتكون القضية محل نقاش وحوار.

فإذا أراد البيان القرآني أن يأخذ بيد صاحب الحقيقة لمناهج التربية في الحوار مع المخالف، فحسبه قول نوح عليه السلام للكافرين من قومه وهو يدعوهم إلى الحقيقة الأبدية (أنلزمكموها وأنتم لها كارهون)، فأي حوار هذا الذي لا يعترف فيه صاحب الحق بحقه أو القضاء سريعاً على خصمه المتغطرس؟! إنها التربية القرآنية التي تضع الاسلوب المنطقي كمنهج حواري لا غنى عنه، فالاتهامات متعددة ومتباينة، والرد سريعاً عليها دون الالتفات إلى جلب أسماعهم وعقولهم ربما يهدم قضية الحوار من أساسها، ونوح عليه السلام يحاول جاهداً تجنيبهم لعذاب الله، فليصبر وليحاول بكافة الأساليب والمناهج المناسبة، وهو ما يفسر تكرار أسلوب النداء في الآيات أكثر (يا قوم) فيقول تعالى (يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي)، (ويا قوم لا أسألكم عليه مالاً إن أجري إلا على الله)، (ويا قوم من ينصرني من الله إن طردتهم أفلا تذكرون)، ومن خلال هذه النداءات التي تظهر رحمة هذا النبي الكريم بقومه، بدأ نوح عليه السلام بالرد على حجج هؤلاء واحدة تلو الأخرى، متبعاً الأسلوب والمنهج ذاته، حيث لا صدام مع هؤلاء حتى النهاية، والملفت هنا أنه أثناء تصديه عليه السلام لتهمة المعاندين له في قضية المؤمنين الذين اتبعوه، وجه أنظارهم إلى قضية المال، وهي قضية لم تكن مطروحة أصلاً، بل هم الذين أثاروها باستضعاف أتباعه والتقليل من شأنهم بقولهم (وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي) والمعنى "وما نراك اتبعك إلا الذين هم سفلتنا من الناس، دون الكبراء والأشراف، فيما نرى ويظهر لنا" (الطبري، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، ص ٢٩٥). وروعة أسلوب الجواب من نوح على هذه القضية جاءت مدوية في أسماع هؤلاء المتغطرسين، إذ كشف عليه السلام سفاهة عقولهم ورجعية فكرهم في موضوع المال، لأن قضيته لا تحتاج أموالهم بل قلوبهم، وهي مسألة بعيدة كل البعد عن عُرف هؤلاء، فكل قضية كبيرة في اعتقادهم لا بد أن يحسمها المال أو السلطة، ونوح يعلم ذلك فأراد أن يريحهم من عناء التفكير في الأمر بأسلوب النفي الصريح (لا أسألكم عليه مالاً)، ثم يتبعه بأسلوب التوكيد المعتمد على الاستثناء بقوله (إن أجري إلا على الله) ليلفتهم إلى المثيب الوحيد والمتفرد بإعطاء الأجر وهو الله تعالى، وحتى يؤكد نوح عليه السلام لهؤلاء أنه صاحب قضية حقيقية ومفوض فيها من قبل خالقه.

ولم يكتفِ نوح بذلك بل جعل قضية المال في حواره مع هؤلاء قضية يبني عليه موقفه من الدنيا بأكملها، فقد وجد من المناسب أن يدفع التهم عن أتباعه من المؤمنين بكشف الحقائق وتجليها في موضوع المال، فإن كان هؤلاء المتكبرون يعتدُّون بالمال ويعدُّونه سند من لا سند له ورافعاً لشأنهم، فإن هؤلاء المؤمنين الذين اعتدلت واتزنت أفكارهم بعد إيمانهم الحقيقي لم يكن المال في حسبانهم، لذا كان الأسلوب المناسب لعدم التفريط في إيمان هؤلاء هو التصريح بالنفي القاطع (وما أنا بطارد الذين آمنوا)، وبلاغة الأسلوب هنا لا تتجلى في هذا النفي فحسب، بل تتضح أكثر في التبرير له مع الاستدراك عليهم (إنهم ملاقوا ربهم ولكني أراكم قوما تجهلون)، ويمكن إيجاز بلاغة مجمل هذا التركيب على النحو التالي.

- تناسب أسلوب النفي القاطع (وما أنا بطارد الذين آمنوا) مع التوكيد (إنهم ملاقوا ربهم) مع ما يقتضيه مقام الحوار من تجلية للحقائق، فحقيقة لقاء الله يناسبها التوكيد لمثل هؤلاء المنكرين، وموقف نوح من أتباعه يناسبه النفي.
- التجانس والتناسب المعنوي بين لفظتَي (طارد، ملاقوا)، وكأن نوح عليه السلام بدلالة ألفاظه يلمح إلى استحالة قبوله بالتخلي عن أتباعه، لأنهم سيلقون الله ويشهدون له بصدق دعوته، فكيف يتجرأ بطردهم وهم الورقة الرابحة القوية في صفه.
- التعانق الأسلوبي بين جملتَي النفي والتوكيد (وما أنا بطارد الذين آمنوا، إنهم ملاقوا ربهم) في الاعتماد على الجملة الاسمية في كل منهما، والتي تفيد ثبوت الحدث وقوته وهو ما يتناسب مع الرد على هؤلاء.
- أسلوب الاستدراك في قول نوح (ولكني أراكم قوماً تجهلون) يتناسب مع النفي والتأكيد السابقين، لأن ادعاء معرفة الحقيقة وتصنيف البشر من قبل هؤلاء الطغاة (وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا) مع إنكارهم لحقيقة التوحيد وتقديمهم للفضل الدنيوي على أي فضل آخر (وما نرى عليكم من فضل)، يستدعي مواجهتهم بحقيقتهم جهلهم وافتقارهم لأدنى حدود العقل.

وبالرغم من إنكار هؤلاء لقضية التوحيد، فقد أصر نوح عليه السلام على الإشارة للوحدانية وخشيته من قوة وجبروت الله تعالى، وهو على يقين تام أن دوافع هؤلاء في الإنكار ستدحض تدريجياً (ويا قوم من ينصرني من الله إن طردتهم)، وقد أراد بذلك أن يُري خصومه مدى العدالة الإلهية في دعوته الجديدة حين يرون الأتباع المستضعفين بهذه المنزلة عند الله، حتى أنه سبحانه سيحاسب نوحاً في حال التقصير معهم أو طردهم، وهي لفتة رائعة من نوح عليه السلام، عسى أن تلين قلوب هؤلاء حين يعرفون قيمة المؤمن في هذا الدين العظيم.

وتأتي أساليب النفي المتتالية في قول نوح (ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول إني ملك ولا أقول للذين تزدري أعينكم لن يؤتيهم الله خيرا الله أعلم بما في أنفسهم إني إذا لمن الظالمين) لتحمل معاني التأكيد على الموقف والثبات على الأمر، واللافت هنا تكرار لفظ الجلالة (الله) أكثر من مرة داخل هذه الأساليب، يريد نوح من خلاله حمل هؤلاء على الاعتراف أو بالأحرى إدخال الشك في حقيقة موقفهم، ومن ثم التصريح بحقيقة التوحيد، وقد أريد بهذه الآية تفنيد الحجج تفصيلياً، مما يضعف موقف الخصوم ويجعلهم يتجاهلون الرد ويتهمون نوحاً بالجدال ويدعونه إلى إثبات صدق دعوته عملياً (قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين)، ليلجأ نوح إلى التصريح بلفظ الجلالة مرة أخرى والاستعانة به وإسناد كل أمر إليه، سواء كان هذا الأمر يتعلق بعاقبة هؤلاء أو هدايتهم أو غوايتهم (قال إنما يأتيكم به الله إن شاء وما أنتم بمعجزين، ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم) ويعزز نوح موقفه في نهاية حواره بالتأكيد على أصل قضيته وجوهرها وتذكير خصومه بها حتى يتذكروها على الدوام، فيستعين بالجملة الاسمية التي يتصدرها ضمير الغائب الحاضر (هو ربكم وإليه ترجعون).

ومن خلال تتبع أساليب الحوار في سورتَي الأعراف وهود يمكننا أن نلخص أهم الملامح الأسلوبية التي اعتمد عليها نوح عليه السلام في محاججة المعاندين من قومه في النقاط التالية:

- اعتماد نوح عليه السلام على أساليب جذب الأسماع والعقول والقلوب معاً، مراعاةً لأهمية قضيته، وذلك عبر أساليب النداء المتكررة (يا قوم) وإظهار الخشية على قومه من الهلاك (إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم، إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم)، إظهاراً للتعاطف والرحمة ودحض ما يخالف ذلك مما يدور في عقول هؤلاء.
- الاستعانة بأساليب النفي المتكررة مع أسلوب الاستدراك بهدف القضاء على التهم الموجهة إليه وإلى دعوته وكذلك الذود عن أتباعه (ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين، لا أسألكم عليه مالاً، وما أنا بطارد الذين آمنوا، ولكني أراكم قوماً تجهلون).
- خاض نوح عليه السلام معركة التوحيد بكثير من التعبيرات المعبرة عن صدق دعوته والنقاش في كل ما يخصها، في مقابل الاكتفاء بتعبير واحد يدافع به عن ذاته (ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين) إشارة إلى تناسي الذات في سبيل الهدف الأسمى.
- الإصرار على التصريح بلفظ الجلالة أكثر من مرة على لسان نوح عليه السلام تنبيهاً للغافلين وإيقاظاً لهم من رقادهم (إن أجري إلا على الله، من ينصرني من الله، لا أقول لكم عندي خزائن الله، لن يؤتيهم الله خيراً، الله أعلم بما في أنفسهم، إنما يأتيكم به الله، إن كان الله يريد أن يغويكم).
- إنهاء نوح عليه السلام حواره بالتأكيد على محور المنهج الذي بدأ به الحوار (هو ربكم وإليه ترجعون)، ترسيخاً للحقيقة المطلقة في أذهان هؤلاء المعاندين، وتركها على الدوام منشغلةً بها.

الأسلوب الحواري لإبراهيم عليه السلام مع قومه:

في الحقيقة يعد حوار إبراهيم عليه السلام مع قومه منهجاً تربوياً وأدبياً ينبغي الاهتمام به والاستفادة منه في حياتنا الاجتماعية والنفسية، فخطاب أبو الأنبياء مع قومه يجب النظر والتأمل فيه من جميع الجوانب التي يبحث عنها الدارس والباحث، والاقتصار على تحليل النص من جانب الأخذ والرد هو تقصير في البحث وخلل في المنهج، كما أن إغفال طبيعة الموقف والحدث فيه ضياع لفوائد بلاغية ونفسية كثيرة لصالح النص.

والواجب البحثي هنا يفرض علينا التفريق بين نوعين من أنواع الحوار الإبراهيمي، وهما الحوار الخاص مع أبيه والحوار مع قومه. كما يعد حوار إبراهيم مع أبيه من أهم الحوارات القرآنية التي يمكن أن تفيد الباحث والدارس للغة القرآن، فلم تكن دعوة إبراهيم عليه السلام لأبيه للوحدانيه دعوة ابنٍ ناصح لأبيه فحسب، بل إنها تتجاوز هذا المعنى البسيط بمراحل، فما من ابن يخشى على أبيه الضلال والهلاك إلا ويستعين في استمالته وتقريبه إلى الحق بالنصح والتوجيه، سواء حاذ وسائل الإقناع المطلوبة أو لم يحوذها، كما أنه لو حاذها فربما يسيء استعمالها أو يجعلها غير مناسبة تماماً للموقف والحدث.

وسنبدأ بحوار إبراهيم مع أبيه، جرياً على بدء إبراهيم دعوته، حيث راعى الأقربين أولاً ليعطي درساً دعوياً جليلاً في التخطيط لنجاح أي دعوة. وقد استعرض القرآن الكريم حوار إبراهيم عليه السلام مع أبيه مجملاً في سورة الأنعام، فقال تعالى (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) [الأنعام، ٧٤]، لينتقل بعد ذلك إلى بيان أسباب تأهيل إبراهيم لهذه المهمة الشاقة، من بلوغه مبلغاً رشيداً من البحث بطريق العقل والوعي المعتمدان على الفطرة الإنسانية والمحاطان بالرعاية الإلهية، عن قضية التوحيد،

فقال تعالى (وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ) [الأنعام، ٧٥] وصولاً إلى غايته (إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) [الأنعام، ٧٩]، ولم تتعرض الآيات لحوار كامل بين إبراهيم وأبيه أو بينه عليه السلام وبين قومه سوى التصريح بالمحاججة منهم في دعوته، فقال تعالى (وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ) [الأنعام، ٨٠]، لكن القرآن جاء بالحوار مفصلاً في سورة مريم؛ وذلك في بداية استعراضه لقصص الأنبياء، مخاطباً نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم، فقال تعالى (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا، إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا، يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا، يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا، يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا، قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا، قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا، وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا) [مريم، ٤١- ٤٨].

ولعل إجمال الحوار في سورة الأنعام كان بغية وضع عنوان عام لدعوة إبراهيم لأبيه، وتلمس سبب الوعي المبكر لدى الخليل، لذا جاء القرآن بتفصيل هذا الوعي والإدراك بديلاً عن جواب أبيه عن الاستفهام، فقال تعالى مباشرةً بعد استفهام إبراهيم لأبيه(وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين) إلى قوله تعالى (إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين).

أما حوار سورة مريم، وهو موضع التحليل، فقد كان أخذاً ورداً بين الخليل عليه السلام وأبيه؛ إذ بدأ عليه السلام حواره وهو مدرك تماماً أن الخصم هو أقرب الناس إليه (نشير هنا أننا لسنا بموطن إثبات حقيقة أبوة والد إبراهيم من عدمه)، فاستعمل أسلوب النداء المشوب بالحب والاستعطاف وإظهار الرحمة (يا أبت) لينتقل بعد ذلك إلى أسلوب الاستفهام الإنكاري المشوب بالتعجب والاستغراب الشديد (لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً)، وتقديم السمع على البصر لشموليته وإحاطته "فالبصر ذو اتجاه واحد، فلا يرى الإنسان إلا من أمامه ولكنه يسمع من أي اتجاه، والطفل يتعرف من خلال السمع على نبضات قلب الأم فيستريح إليها قبل أن يعرف وجهها، ويتعرف من خلال حاسة السمع على صوتها وصوت الأب فيأنس إليهما قبل أن يتعرف على الوجوه وتفاصيلها، فالسمع مدخل رئيسي من مداخل المعرفة" (درويش، ٢٠١١م، ٢٤).

وتتجلى أسباب هذا الاستفهام وأهدافه أمام المعاني المطروحة، والتي يمكن تلخيصها في النقاط التالية:

- ارتباط هذا الاستفهام بأسلوب الاستفهام في سورة الأنعام (أتتخذ أصناماً آلهة) فيه ملمحان يمكن استنباطهما: الأول، كأن عدم السمع والبصر والافتقاد إلى المنفعة هي سمات رئيسة لكل صنم. وثانيهما، ليس هناك ما يمنع من اشتراك الطغاة والمتكبرين في صفات الأصنام المعبودة من دون الله، مع مجازية السمع والبصر في معاني إعراضهم عن النصح بوسائل الدعوة كافة.
- خطاب إبراهيم العقلي في أسلوب الاستفهام بقوله (لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً) كان نتيجة لتجليات ربه عليه في سورة الأنعام في قوله تعالى (وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ) [الأنعام، ٧٥] وما بعدها من آيات كونية تابعها إبراهيم بعقلة واحدة تلو الأخرى، ابتداءً من الكوكب الذي رآه بعد أن جن الليل (فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الْآفِلِينَ) [الأنعام، ٧٦] ومروراً بالشمس والقمر وإعمال عقله في البحث عن البارئ المصور (فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي

رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ، فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ) [الأنعام، ٧٧- ٧٨]، وانتهاءً بالاهتداء ومعرفة طريق التوحيد (إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) [الأنعام، ٧٩].

- من الملفت أن النفي داخل أسلوب الاستفهام (لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً) أراد به الخليل عليه السلام رفع توهم من اعتقد أن استفهامه في سورة الأنعام (أتتخذ أصناماً آلهة) هو إنكار كون الأصنام تصلح للألوهية مع صلاح ما عداها، ويمكن أن يستند المتوهمون إلى توجه همزة الاستفهام إلى اتخاذ الأصنام وليس الآلهة، والحقيقة أن إبراهيم عليه السلام كان هدفه في سورة الأنعام تسفيه عقل هؤلاء باللجوء إلى صنم والاستعانة به، لذلك ختم الآية بقوله (إني أراك وقومك في ضلال مبين)، ليصبح ذلك إطاراً عاماً وعنواناً عريضاً لكل من لم يعمل عقله قبل أن يتخذ إلها من دون الله، ثم يأتي التفصيل بالإنكار الكلي في سورة مريم لكل ما لا يسمع ولا يبصر ولا يملك منفعة حتى لنفسه.

وعندما ينتقل إبراهيم لتعليل استفهامه الإنكاري، يعترف بنعمة المعرفة ويسندها إلى صاحب العلم الحقيقي (يا أبتِ إني قد جاءني من العلم مالم يأتك)، مستعيناً بنداء الترفق والتودد (يا أبتِ)، والتوكيد بكلٍ من (إن) و (قد) الداخلة على جملة الماضي (جاءني)، لإدراكه مدى الإنكار الذي يحيط بعقل وكيان المخاطب، ويزداد هذا الترفق من قبل إبراهيم وهو ينصح أباه بالاتباع مستعملاً أسلوب الأمر المعلل بالجواب (فاتبعني أهدك صراطاً سوياً)، وكأن الخليل عليه السلام يضع نفسه منزلة المخاطب، فيذكر السبب لاتباعه، ليحفز هذا المخاطب على الوقوف مع نفسه والتفكير ملياً في هذا النقاش والحوار الإيجابي، والذي يتوافق مع النفس الإنسانية ومع الواقع كذلك "فالواقعية في لغة الحوار القرآني واقعية نفسية لا لغوية". فالحوار الفعال هو الذي يدفع الطرف الآخر إلى التمهل والاضطرار إلى التقهقر خطوات للوراء وعدم التسرع في الجواب. فمن ذا الذي لا يريد طريقاً سالكاً وممهداً للسعادة؟!

إنك كلما تعمقت في الحوار القرآني خرجت باللآلئ والكنوز، وأدركت مالم تكن ستدركه بالقراءة العادية، فالتدفق الشعوري الذي فرضته أهمية القضية لدى إبراهيم، خلق جواً من التناغم والتناسب بين أساليب حواره، فهو عندما يأمر أباه بالاتباع لئلا يضل الطريق، ينهاه مباشرةً عن عبادة الشيطان، وهو الذي قد أنكر عليه قريباً عبادة الأصنام، فكيف ذلك؟ وهنا تتجلى روائع هذا الإعجاز البياني، لأن إبراهيم لم يرد فقط أن ينبه أباه إلى خطأ طريقه، بل أراد أيضاً أن يخلصه من فخاخ الشيطان، والذي يظنه هذا الأب منقذاً ومخلصاً، وهو ما يبرر ايضاً سر استعمال صفة (الرحمن) لله تعالى في أسلوب التحذير دون غيرها من الصفات (لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصياً)، بغرض تنبيه هذا الضال إلى الرحمة الرئيسة والأصل في هذا الكون، وما عداه لا يجوز مخالفته، وأن من اتخذه هذا الأب دليلا لطريقه هو في الأساس مطرود من رحمة خالقه، فكيف له أن يهديَ غيره إلى الطريق القويم؟! كما أن تكرار صفة (الرحمن) في الآية التالية (يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان ولياً) إشارة إلى لفت نظر الأب إلى أن الخالق العظيم قد جمع بين الثواب والعقاب، وعليه أن يُظهر ولاءه لله بالإسراع والدخول في رحمته بدلاً من الولاء للشيطان واختيار عاقبة السوء.

والملفت للانتباه هنا أن كل أسلوب إنشائي من طرف إبراهيم عليه السلام سواء كان نداء استعطاف واستجداء أو استفهاماً إنكارياً تعجبياً أو أمراً يهدف إلى نصح وإرشاد، تتبعه جملة خبرية مؤكدة، لتنهض بالمعنى الكلي من جانب، وتبين العلة والسبب من اللجوء والاستعانة بهذا الأسلوب الإنشائي من جانبٍ آخر. وبيان ذلك مثلاً، أنك حين تدقق في قول إبراهيم لأبيه (يا أبتِ لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً) تجده عليه السلام لا ينتظر إجابة الأب على سؤاله، بل يسارع بالإجابة على ما سيدور في ذهنه بعد هذا الكلام،

وهو: كيف لهذا الابن أن ينكر على أبيه عبادة هذه الأصنام؟ ولماذا يتطوع بهذا الإنكار والتعجب وهو من بني جلدتي؟ لنرى إبراهيم عليه السلام يضع ذلك كله في جعبة الجملة الخبرية المؤكدة (إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك) حتى يبطل حجة الأسئلة التي تدور في ذهن أبيه. فإذا قال (فاتبعني) سار على نفس المنهج وبرر وعلل الأمر بقوله (أهدك صراطاً سوياً)، وكذلك عندما ينَهَى أباه عن عبادة الشيطان بقوله (لا تعبد الشيطان) بين علة ذلك بقوله (إن الشيطان كان للرحمن عصياً).

- فإذا حان دور الأب العاصي في الرد على ابنه وجدنا عجباً عجاباً في أسلوب الحوار، لا من ناحية فعالية الحوار فحسب، وإنما أيضاً في العمق العاطفي الذي يتصدر اللغة الحوارية، حيث ينتقل هذا الأب مباشرةً إلى تحويل القضية من خطاب عقلي يناشد الذهن ويبحث عن الحقيقة إلى مسألة شخصية تأخذ جانب الذات والشخصنة، محاولاً بكل ما يملك الدفاع عنها ولو بالباطل، فيسارع بالإنكار على إبراهيم رغبته عن آلهته، مع إضافة الآلهة إلى ضمير الملكية اعتزازاً منه واستكباراً (قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم)، ولم يتعرض قط للقضايا التي طرحها إبراهيم عليه السلام، أو أشار إليها، ابتداءً من الاستفهام عن سبب اتخاذ ما لا يسمع ولا يبصر ولا يملك نفعاً ولا ضراً، مروراً باعتراف إبراهيم بأنه قد جاءه من العلم ما لم يأت أبيه، فلم يجهد نفسه في السؤال عن ماهية هذا العلم أو صاحبه، وانتهاءً بالتحذير من الانجراف وراء الشيطان، وكذلك كل المعاندين يتهربون من الحقيقة إلى أسلوب الاستفهام "لأن ردودهم في صورة السؤال يتناسب مع عنفهم وغضبهم، وقدرته على استيعاب الدلالات المتعددة التي يريدون إحاطة الرسل وأولياء الله بظلالها، كالسخرية والإنكار والتوبيخ والتهديد وغيرها" (نزال، ٢٠٠٣م، ص ٣٠). والأعجب أن العاطفة الجياشة للخليل عليه السلام والتي ظهرت جلياً في مطلع كل آية عبر أسلوب النداء (يا أبتِ) قوبلت بقسوة غريبة الشكل والطبع من جهة الأب بل والإسراع إلى التهديد (لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني ملياً)، وهو ما يمكن أن نسميه بالعمق العاطفي وراء أسلوب كلٍ من الخليل عليه السلام وأبيه.

إن أسلوب إبراهيم تكسوه الرحمة والشفقة ومنح مساحة لعقل الخصم للتفكير والتمهل، أما أسلوب أبيه فتكسوه القسوة والجفاء والهروب من الحقيقة إلى التهديد السريع (لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني ملياً)، وكأني هنا بقوم نوح عليه السلام يستعينون بالأسلوب التهديدي ذاته (لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين) والعجيب أن الخليل عليه السلام لم يرد أن ينتهي الحوار بأي تهديد يعكر صفو المحبة التي يكنها لأبيه، فقابل هذا التهديد بعرض السلام والأمان على خصمه، بل والتصريح بطلب المغفرة له (قال سلامٌ عليك سأستغفر لك ربي)، والتعبير بالجملة الاسمية (سلام عليك) مع تنكير السلام دلالة على الاحترام الشديد من قبل إبراهيم لأبيه وثباته على ذلك مع ما واجهه من تهديد، ودعوته بأن تشمل كل معاني السلام قلب هذا الأب العاصي، لعله يلين أو يُقبل استغفار إبراهيم له، قال الألوسي معلقاً على أسلوب الحوار بين إبراهيم وأبيه "ولقد سلك عليه السّلام في دعوته أحسن منهاج واحتج عليه أبدع احتجاج بحسن أدب وخلق ليس له من هاج لئلا يركب متن المكابرة والعناد ولا ينكب بالكلية عن سبيل الرشاد حيث طلب منه علة عبادته لما يستخف به عقل كل عاقل من عالم وجاهل ويأبى الركون إليه فضلا عن عبادته التي هي الغاية القاصية من التعظيم مع أنها لا تحق إلا لمن له الاستغناء التام والإنعام العام" (الألوسي، ١٤١٥هـ، ص ٤١٤).

ISSN: 2706-6495

ويمكننا من خلال هذا الحوار الذي دار بين إبراهيم وأبيه أن نلخص أهم الملامح الأسلوبية في النقاط التالية:

- تعدد أساليب الرحمة والشفقة واستعطاف المخاطب من جانب إبراهيم عليه السلام متمثلة في أكثر من أسلوب، يأتي في مقدمتها أنه "وصدّر كل نصيحة من النصائح الأربع بقوله يا أَبَتِ توسلا إليه واستعطافا" (الزمخشري، ١٤٠٧هـ، ص ٢٠) يليه أسلوب النهي المفيد للنصح والإرشاد (لا تعبد الشيطان) والتصريح بحب المخاطب والاهتمام لأمره والخوف عليه من عاقبة السوء (إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن) وإلقاء السلام على الخصم وإخباره باستغفار إبراهيم له رغم تهديده (سلام عليك سأستغفر لك ربي).
- التركيز والمواجهة المباشرة من طرف إبراهيم على قضية التوحيد وخلع كل ما عداها، فلم يتعرض لمسائل شخصية أو جانبية تخرجه من الهدف الرئيس في حين قام أبوه بالتهديد المباشر دون استعراض حوار إبراهيم على عقله.
- اعتماد إبراهيم عليه السلام في حواره على صفة (الرحمن) لله سبحانه، استجلاباً لعقل وقلب الخصم في آنٍ واحد، فاستعملها في قوله (إن الشيطان كان للرحمن عصياً) لمراجعة موقف النفس المشركة، وكيف لها أن تترك إلهاً كله رحمة بعباده في مقابل شيطان رخيص لا يملك من أمره شيئاً، فكيف يملك لغيره؟!! واستعملها إبراهيم في تحذيره لأبيه بأسلوب الحنو والشفقة (إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن) في إشارة إلى وجوب الإسراع في الدخول تحت رحمة الرحمن والهروب من عذابه بإظهار التوحيد له.
- أظهرت أساليب الحوار بين الطرفين أن الأنبياء لهم طبيعة خاصة في المشاعر نحو خصومهم، وأنهم لا يلتفتون سوى للأمور الهامة التي تبني ويُبنى عليها، فإبراهيم لم يلق بالاً لتهديد أبيه بالرجم، بل وضعه جانباً وأكمل طريقه نحو تحرير العقل من تبعية الشيطان.

فإذا انتقلنا إلى حوار إبراهيم مع قومه، نجده قد تعدد في مواطن كثيرة من كتاب الله تعالى، وقد تجلّى بوضوح وجاء مفصلاً في سورة الأنبياء بين الأخذ والرد من الطرفين، فقال تعالى (وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ، إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ، قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ، قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ، قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ، قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ، وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ، فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ، قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ، قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ، قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ، قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ، قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ، فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ، ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ، قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ، أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ، قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ، قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ) [الأنبياء/٥١-٧٠] .

من الملاحظ هنا أن الله تعالى مهد ببيان تجلياته سبحانه على إبراهيم وفكره ونضوج عقله الدعوي بقوله تعالى (ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين) وهو الرشد المقصود في اجتهاده عليه السلام حتى انتهى إلى الحقيقة المطلقة في سورة الأنعام (إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين)؛ حتى يكون المستمع على بينة من صدق دعوته عليه السلام وأنه مؤيد من عند ربه.

بداية الحوار هي سؤال إبراهيم للخصم (ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون)، وهو السؤال نفسه الذي سبق وأن بدأ به إبراهيم حواره مع أبيه وإن كان أكثر تفصيلاً لحقيقة التماثيل (لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً). وإن اختلفت صيغة السؤالين، فإن الهدف هو شحذ العقل وتنشيط الذهن، ولعل عمومية الاستفهام مع قوم إبراهيم وخصوصيته مع إبراهيم، سببه طبيعة الحوار مع الأب والذي يفرض على الابن توضيح الأمر وتقريبه أكثر رغبة في هدايته وتصويب موقفه، ويمكن الاستناد في ذلك إلى لجوء إبراهيم في حواره مع أبيه إلى عرض رؤيته مرة واحدة، زيادة في التفصيل والتبيان، وانتظار الرد منه النهاية، بخلاف الموقف هنا حيث بدأ الحوار بسؤال واحد لينتظر الجواب منهم، ومن ثم يبدأ هو في تجلية الأمر انطلاقاً من هذا الجواب. فكان ردهم عن السؤال فخاً لهم؛ وضعفاً لموقفهم (قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين)، فكما لم يعملوا العقل في التأني للرد على سؤال إبراهيم، لم يعملوه أيضاً حين سخروه لآلهة موروثه، ولعل إبراهيم عليه السلام يريد من جوابهم هذا تحديد مسار الجهال والمنحرفين في هذا العالم، فالأسلوب الذي جاء بصيغة الماضي (وجدنا آباءنا لها عابدين) يدل دلالة قاطعة على أن التعلل والتحجج بما كان من الأسلاف الماضية، وإن كانوا من ذوي القربى، هو أيسر سبيل للانحراف عن المسلك القويم. فلم يهتم إبراهيم بالرد على جوابهم الذي جاء في صفه، بل انتقل إلى متابعة هزائمهم والمواجهة السريعة (قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين)، فتعددت المؤكدات، فجاءت (قد) مؤكدة باللام ومتقدمة جملة الماضي (كنتم) لإفادة التحقيق والتوكيد، فضلاً عن دخول، بالإضافة إلى التوكيد اللفظي (أنتم) حتى يقف الخصم مع نفسه ويناقشها في سلوكها، فالتعيين بالضمير مقصود، كما أن وصف الضلال بالمبين فيه تأكيد على مدى غواية هؤلاء، وأن سلوكهم هذا ليس ضلالاً عادياً أو طبيعياً، وإنما يخالف الفطرة السليمة.

وكعادة المتشكك في سلوكه وغير الواثق من طريقه يفر هؤلاء من مواجهة الحقيقة، وبديلاً عن الاستفسار من إبراهيم عن سبب نعتهم وآباءهم بالضلال المبين، يلجأون إلى المواجهة المباشرة (أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين)، وغرضهم من هذا الاستفهام ليس الهروب من مواجهة إبراهيم فحسب، بل الظهور بمظهر القوي والمُطالِب بالحقيقة، لكن استفهامهم قد فضحهم وفضح ضعفهم وخوارهم، ويبدو من استفهامهم البحث عن الحقيقة، لكن الواقع يؤكد غير ذلك، بدليل أن موقفهم من رد إبراهيم بعد ذلك يناقض هذا الاستفهام، كما سيتضح. وبلاغة رد الخليل جاءت مناسبة لطبيعة الاستفهام، حيث وجهت همزة الاستفهام إلى طبيعة ما جاء به إبراهيم إن كان حقاً أو لعباً، فجاء الرد (بل ربكم رب السماوات والأرض الذي فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين) لتكون (بل) إضراباً عن اللعب أولاً تليها الجملة الاسمية لبيان طبيعة الحق الذي جاء به (ربكم رب السماوات والأرض)، وترتيب الرد هنا دليل على الوعي النبوي بطبيعة عقل هؤلاء، لأن الإضراب وإن حوى الاعتراض على ما سبق، فيه استفاقة للخصم من موقفه وهزة شديدة لفكره المنحرف.

وقد أراد إبراهيم أيضاً بهذا التعبير (بل ربكم رب السماوات والأرض الذي فطرهن) انشغال العقل مرة أخرى، وكان من الطبيعي هنا أن يقول: بل ربي الذي بعثني بالحق، لكنه أراد انتباههم إلى بوار ما هم عليه، فناقش القضية من جذورها، حيث لا يستطيع أحدهم الزعم بنسبة خلق السماوات والأرض لغير الله، لذا وجه الضمير إليهم (ربكم)، والغرض هو الضغط على أعصابهم وإفاقتهم من كذبهم وإجبارهم نفسياً على الاعتراف بالخروج عن طاعة سيدهم ووجوب العودة إليه، وما جاء قَسم إبراهيم عليه السلام بكيد الأصنام وتحطيمها بقوله (وتالله لأكيدن أصنامكم) إلا تأكيداً للأغراض السابقة، ويزيد عليها هنا تجلية الدليل العملي على صدق دعوته، فهو عليه السلام لن يكتفي بدعوة اللسان بل سينتقل إلى التغيير باليد، لأن الأمر جد خطير.

ISSN: 2706-6495

كما أنه "سمى تكسيره الأصنام كيداً على طريق الاستعارة أو المشاكلة التقديرية لاعتقاد المخاطبين أنهم يزعمون أن الأصنام تدفع عن أنفسها فلا يستطيع أن يمسها بسوء إلا على سبيل الكيد" (ابن عاشور، ١٩٨٤م، ص ٩٧). وفي قوله (بعد أن تولوا مدبرين) وقفة أسلوبية رائقة مع هذا النبي الكريم في أكثر من جانب. أولاً، كان يمكن لإبراهيم عليه السلام أن ينفذ تهديده أمام قومه، لكنهم كانوا سيتصدون له بكامل قوتهم من ناحية، ولن يكون قادراً على محاججتهم في ضعف آلتهم من ناحية أخرى. وثانياً، وهو استنباط هام وتربوي؛ حيث لجأ إبراهيم إلى تهديد قومه في آلهتهم علناً ومصرحاً بما سيقوم به، دون اللجوء إلى الخداع والمكر. وثالثاً، أنه أراد إظهار الحقيقة في خيبة هؤلاء على الملأ، حتى يستدرج البعضَ بطريق غير مباشر على الحق، فرب سامع أوعى من مبلغ، وهو ما لم يكن سيحصل إذا نفذ تهديده في وجودهم مع تصديهم له.

وتتوالى الأحداث سريعاً، فينفذ الخليل وعده بالتحطيم (فجعلهم جذاذاً إلا كبيراً لهم لعلهم إليه يرجعون)، وهو ذكاء من الخليل في تمني رجوعهم عن ما هم فيه من ضلال، فلعل هذا الصنم الكبير يكون سبباً في هدايتهم، بعد أن يستوقفوا أنفسهم في البحث عن سبب عبادتهم لتلك الأحجار، ولعلم إبراهيم أنهم سيرجعون إليها، يقول الزمخشري "وإنما استبقى الكبير لأنه غلب في ظنه أنهم لا يرجعون إلا إليه، لما تسامعوه من إنكاره لدينهم وسبه لآلهتهم، فيبكتهم بما أجاب به من قوله بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هذا فَسْئَلُوهُمْ" (الكشاف، ١٤٠٧هـ، ص١٢٣)، قال صاحب التحرير والتنوير "كانت الأصنام سبعين صنما مصطفة ومعها صنم عظيم وكان هو مقابل باب بيت الأصنام، وبعد أن كسرها جعل الفأس في رقبة الصنم الأكبر استهزاء بهم" (ابن عاشور، ١٩٨٤م، ص ٩٨).

وجعل الأصنام بعد تحطيمها قطعاً (جذاذاً) رغبةً منه عليه السلام في إظهار مدى السفاهة والخسة التي يعيش فيها هؤلاء بولائهم لتلك الأصنام التي لا تستطيع أن تدفع عن نفسها ولو جزءا بسيطاً من هذا التحطيم.

وبالرغم من إفصاح إبراهيم عن نيته بتحطيم الأصنام، إلا أنهم تساءلوا فيما بينهم عن المتسبب في تحطيمها (قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين) إما لعدم تصديقهم بجرأة إبراهيم على التحطيم، أو بعدم رغبتهم في مواجهة التحدي الذي بدأهم به الخليل عليه السلام، لئلا يظهرون بمظهر الضعيف الذي لا يملك حجة مقنعة لموقفه.

وتتوالى الأحداث حتى يقف إبراهيم موقف المسؤول المطالب بالجواب (أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم)، فيأتون بالمسند إليه (أنت) بعد همزه التقرير مع الإنكار، ويؤخرون المسند وهو (فعلت)، لأن التحطيم حادث ومعلوم على الحقيقة، لكن المشكوك فيه هو فاعل ذلك التحطيم، يحاولون بذلك أن يقر إبراهيم بأنه هو الفاعل لا غيره، يقول عبد القاهر الجرجاني "فإذا قلت: (أأنت فعلت ذاك)، كان غرضك أن تقرره بأنه الفاعل؛ يبين ذلك قوله تعالى، حكاية عن قول نمروذ (أأنت فعلت هاذا بآلهتنا يا إبراهيم) لا شبهة في أنهم لم يقولوا ذلك له عليه السلام، وهم يريدون أن يقر لهم بأن كسر الأصنام قد كان، ولكن أن يقر بأنه منه كان؛ وقد أشاروا له إلى الفعل في قولهم (أأنت فعلت هذا)؟ وقال هو عليه السلام في الجواب (بل فعله كبيرهم هذا)" (الجرجاني، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م، ص١١٣)، والغرض من عبارة الخليل إلزام هؤلاء الحجة بنفي الألوهية عن هذه الحجارة.

والأمر في قول الخليل (فاسألوهم إن كانوا ينطقون) استهزاءً بهم وبعقلهم، وتصريحاً بالسخرية من أصنامهم التي لا تضر ولا تنفع، والغرض من هذا الأمر هو لفت انتباههم إلى غيهم ورفع الغشاوة عن سمعهم وأبصارهم. والتعبير القرآني في وصف خيبتهم وقلبهم للحقائق في قوله تعالى (ثم نكسوا على رؤوسهم) غاية في وصف واقعهم، فالانتكاس من الفعل نكس "والنكس: قلب الشيء على رأسه، وفي حديث أبي هريرة: تعس عبد الدينار وانتكس أي انقلب على رأسه وهو دعاء عليه بالخيبة لأن من انتكس في أمره فقد خاب وخسر" (ابن منظور، ١٤١٤هـ، ص٢٤١)،

ISSN: 2706-6495

وكأن هؤلاء كانوا قريبين من الاعتراف بالحقيقة لكن سرعان ما ارتدوا عنها وعادوا لوضع الشيء في غير موضعه، فجاء الرد متوائماً مع موقفهم في صورة استفهام إنكاري (أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضركم) متبوعاً بالتضجر والسخرية منهم ومن أصنامهم (أفٍ لكم ولما تعبدون من دون الله) لإيقاظهم من غفلتهم وتنبيههم على موقفهم المقلوب، ويحيطهم إبراهيم باستفهام توبيخي آخر (أفلا تعقلون) لئلا يجدوا مخرجاً أو مفراً من مصارحة أنفسهم، وهو تعبير عن مدى حرص الخليل على متابعة القضية للنهاية، لأن مجرد الاستعانة بالاستفهام ولو كان توبيخاً هو محور جديد للمناقشة، مما يبرهن على سلامة وجدية الحوار الفعال لدى إبراهيم عليه السلام، في مقابل تجاهل هؤلاء المعاندين لقضية الحوار من الأصل وتمسكهم الدائم بالتهديد والوعيد في صورة الأمر (قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين)، وهو ما حدث من قبل في حوار إبراهيم مع أبيه.

ويمكننا أن نلخص أهم الملامح الأسلوبية في حوار إبراهيم وقومه فيما يلي:

- تنوع أسلوب إبراهيم في الحوار مع موقفه الثابت وأغراضه الواضحة من بداية الحوار إلى نهايته؛ بدءاً بتكثيف التأكيد في مواجهة ميراث الضلال الذي يفتخر به هؤلاء المعاندين، وذلك حين واجههم بقوله (لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين)، ومروراً بالإصرار الواضح على الاستعانة بأسلوب التأكيد المصاحب للقسم المغلظ في تهديده الصريح بتحطيم أصنامهم في قوله (وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين). إضافة إلى ذلك، موقفه الواضح في السخرية من موقفهم بأكثر من أسلوب يتراوح ما بين الجملة الفعلية واسم الفعل والأمر والاستفهام (بل فعله كبيرهم هذا، فاسألوهم، أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضركم، أف لكم ولما تعبدون من دون الله، أفلا تعقلون).
- ظهور ثورة إبراهيم العقلية على أعراف قومه الباطلة؛ وإنكاره المطلق للتقليد الأعمى وذلك حين غرس شجرة الاستفهام من بداية الحوار، وجعل من هذه الشجرة أساساً يمكن الانطلاق منه إلى بقية الأفرع التي تحيط بها بهدف الوصول إلى الحقيقة في قوله (ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون)، في مقابل الجواب غير المنطقي والغير مناسب للاستفهام، حيث كان الاستفهام عن ماهية هذه الحجارة وليس العلة في عبادتها، فكان جوابهم خاوياً (قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين)، وكذلك أساليب التهديد المتكررة دون التمهل في الأسباب (من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين، فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون، حرقوه وانصروا آلهتكم).

الخاتمة:

ظهر جلياً من خلال مواضع التحليل كيف أن أساليب الحوار عند نوح وإبراهيم تختلف تماماً عن أساليب المعاندين والمتكبرين الذين حاولوا بكل جهدهم تحويل دفة الحوار وإخراجه من إطار العقل. فالأنبياء عليهم السلام آثروا أساليب الحوار المؤثرة كالاستفهام المحفز للعقل والذي يأتي أحياناً لأغراض الإنكار والتعجب والتوبيخ، والأمر والنهي الهادفان للنصح والإرشاد، والنداء المستعطِف للمنادَى كما ورد في حوار إبراهيم مع أبيه.

كما لاحظنا أن الأساليب النبوية لم تختلف في ماهيتها وجدواها من بدايات المواجهات حتى نهايتها، فما وجدنا في تلك الأساليب ما يوحي بالتفلت أو التهرب من الجواب.

في مقابل ذلك، لم نجد في أساليب المعاندين كافة ما يوحي أو يشير من بعيد بحوار ذات جدوى أو انفعال إيجابي يثري الحوار ويهدف إلى الغاية والقضية الشريفة التي يناضل الأنبياء من أجلها، بل على العكس من ذلك وجدنا انفعالاً شخصياً وشعوراً بالكبر أفضى بهؤلاء إلى التصريح بالتهديد والوعيد بديلاً عن الوقوف مع النفس والتثبت الحقيقة.

التوصيات:

تباين أساليب الحوار عند نوح وإبراهيم مع قومهما مع توحد الهدف وهو الوصول بالخصم والطرف الآخر إلى بر الأمان وهو الحقيقة المطلقة، في مقابل أساليب التفلت والهروب والتهديد والوعيد من الأطراف المكابرة والمعاندة، مما يستدعي كثيراً من الدراسات اللغوية والأدبية للتعمق أكثر في الحوارات القرآنية وتنوع أساليبها ومدلولاتها، والوقوف على التعبيرات المؤثرة بين أطراف الحوار المختلفة، ليكون القارئ والمختص -على حد سواء- على اطلاع دائم بأسباب التأثير في المخاطب، وكيفية الحوار الإيجابي.

المصادر والمراجع:

١- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي. (١٤١٤ه)- لسان العرب. الطبعة الثالثة. (ج٤، ٦، ١١). بيروت: دار صادر.
٢- الفيروزبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب. (١٤٢٦ه- ٢٠٠٥م). القاموس المحيط. (تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي). الطبعة الثامنة. بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع.
٣- الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد. (١٤١٢ه). المفردات في غريب القرآن. (تحقيق صفوان عدنان الداودي). الطبعة الأولى. (ج١). دمشق بيروت: دار القلم – الدار الشامية.
٤- ابن بطال، أبو الحسن علي بن خلف. (١٤٢٣ه – ٢٠٠٣م). شرح صحيح البخاري (تحقيق أبو تميم ياسر بن إبراهيم). الطبعة الثانية. (ج١٠). الرياض: مكتبة الرشد.
٥- الطبري، محمد بن جرير. (١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م). جامع البيان في تأويل القرآن (تحقيق أحمد محمد شاكر). الطبعة الأولى. (ج١٢، ١٥). مؤسسة الرسالة.
٦- حفني، عبد الحليم. (١٩٩٥م). أسلوب المحاورة في القرآن. الطبعة الثانية. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٧- درويش، أحمد. (٢٠١١م). تأملات في جماليات النص القرآني. الطبعة الأولى. القاهرة: دار نهضة مصر.
٨- الطراونة، سليمان. (١٩٩٢م). دراسة نصية أدبية في القصة القرآنية. الطبعة الأولى. الأردن: منشورات جامعة مؤتة.
٩- نزال، فوز سهيل كامل. (٢٠٠٣م). لغة الحوار في القرآن الكريم- دراسة وظيفية أسلوبية. الطبعة الأولى. عمان: الأردن: دار الجوهرة.
١٠- الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله. (١٤١٥ه). روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. (تحقيق على عبد الباري عطية). الطبعة الأولى. (ج٨). بيروت: دار الكتب العلمية.
١١- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو. (١٤٠٧ه). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. الطبعة الثالثة. (ج٣) بيروت: دار الكتاب العربي.
١٢- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد التونسي. (١٩٨٤م). التحرير والتنوير. (ج١٧). تونس: الدار التونسية للنشر.

ISSN: 2706-6495

١٣-الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن. (١٤١٣ه- ١٩٩٢م). دلائل الإعجاز في علم المعاني. (تحقيق محمود محمد شاكر أبو فهر) الطبعة الثالثة. القاهرة: مطبعة المدني.

جميع الحقوق محفوظة 2020 ©، د. أيمن البيلي محمد، المجلة الأكاديمية للأبحاث والنشر العلمي.

(CC BY NC)